

﴿ نَبْذَةٌ عَنِ التَّصَوُّفِ ﴾

لِفَضِيلَةِ الْعَارِفِ بِاللَّهِ تَعَالَى الشَّيْخِ

مَرْوَانَ أَحْمَدَ مَرْوَانَ

(أَسْيُوطٌ فِي رَمَضَانَ ١٤١٣ هـ / مَارِسَ ١٩٩٣ م)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ
تَعَالَى وَسَلَّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ
وَعَلَى أَهْلِهِمْ وَصَحْبِهِمْ أَجْمَعِينَ، وَبَعْدُ؛ فَاعْلَمْ نَوْرَ اللَّهِ تَعَالَى قَلْبِي
وَقَلْبَكَ وَأَكْمَلْ فِيهِ حَيِّ وَحَبِّكَ أَنْ التَّصَوُّفَ نَتِيجَةُ الْعَقْلِ،
وَتَمَرَّةُ الْعِلْمِ، وَرُوحُ الْإِسْلَامِ، لِأَنَّهُ الْأَشْتَغَالُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى،
وَهِيَ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسِ وَالْجَانِّ، وَلِتِمَامِ النِّعْمَةِ

كَانَتْ بَعْثُهُ سَائِرَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. قَالَ اللَّهُ ﷻ

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ سورة الذاريات.

وَقَالَ ﷺ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ

أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ٢٥﴾ سورة الحج. وَالْعِلْمُ بِدُونِ التَّصَوُّفِ

وَسِيلَةٌ بِلاَ غَايَةٍ، كَمَا أَنَّ الْخَوْضَ فِيهِ قَبْلَ الْعِلْمِ شَرُّ جُنَايَةٍ، قَالَ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْعِلْمُ إِمَامٌ، وَالْعَمَلُ تَابِعُهُ". وَقَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

((مَنْ تَفَقَّهَ وَلَمْ يَتَصَوَّفْ فَقَدْ تَفَسَّقَ، وَمَنْ تَصَوَّفَ وَلَمْ يَتَفَقَّهْ

فَقَدْ تَزَنَّدَقَ، وَمَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا فَقَدْ تَحَقَّقَ)).

وَالتَّصَوُّفُ - عَلَيْهَا وَعَمَلًا - هُوَ الْحِكْمَةُ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ ﷻ عَنْهَا

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا

كَثِيرًا ٢٦٩﴾ سُورَةُ الْبَقَرَةِ.

وَهُوَ الْفَقْهُ فِي الدِّينِ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا فِي
الصَّحِيحِ

"مَنْ يَرِدُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ".

وَالْأَقْوَالُ الْمَأْثُورَةُ فِي تَعْرِيفِ التَّصَوُّفِ كَثِيرَةٌ جِدًّا تَبْلُغُ زَهَاءَ
الْأَلْفَيْنِ وَمَفَادُهَا جَمِيعًا التَّبَتُّلُ إِلَى اللَّهِ ﷻ. وَالِاسْتِعَانَةُ بِهِ دُونَ
سِوَاهُ، اسْتِجَابَةُ لِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾

٨ سورة المزمل.

وَيَكْفِي التَّصَوُّفَ دَلِيلًا عَلَى شَرْفِهِ هَذَا الْحَشْدُ الْهَائِلُ مِنَ الْأَئِمَّةِ
الْعَارِفِينَ الَّذِينَ لَمْ يَجْتَمِعْ عَشْرُ مَعَشَارِهِمْ فِي تَعْرِيفِ عِلْمٍ مِنَ
الْعُلُومِ.

التَّصَوُّفُ عِلْمٌ وَعَمَلٌ

بِمِرَاجَعَةِ كَلَامِ الصُّوفِيَّةِ فِي هَذَا الْمَقَامِ نَجِدُ أَنَّ لِلتَّصَوُّفِ
عِنْدَهُمْ إِطْلَاقَيْنِ:

﴿الْإِطْلَاقُ الْأَوَّلُ﴾ بِاعْتِبَارِ كَوْنِهِ عِلْمًا مِنَ الْعُلُومِ، يَعْرِفُ
بِهِ صِفَاتُ النَّفْسِ مِنْ كَوْنِهَا أَمَارَةً أَوْ لَوَامَةً أَوْ مَلْهَمَةً أَوْ
مُطْمَئِنَّةً أَوْ رَاضِيَةً أَوْ مَرَضِيَّةً أَوْ صَدِيقِيَّةً حَسْبَمَا وَرَدَتْ عَلَى
لِسَانِ الشَّرْعِ، وَيَعْرِفُ بِهِ كَذَلِكَ مَا يَنْسَبُ كُلَّ طَوْرٍ مِنْ
أَطْوَارِهَا، حَتَّى تَتَهَذَّبَ وَتَبْلُغَ الْغَايَةَ الَّتِي تَسْمَعُ فِيهَا نِدَاءَ رَبِّهَا:
﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ٢٧ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً
مَرَضِيَّةً ٢٨ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ٢٩ وَادْخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾ سورة الفجر.

﴿الْإِطْلَاقُ الثَّانِي﴾ بِاعْتِبَارِ كَوْنِهِ عَمَلًا وَهُوَ كَمَا فِي شَرْحِ
الْخَرِيدَةِ لِلْعَارِفِ الدَّرْدِيرِ: الْأَخْذُ بِالْأَحْوَطِ مِنَ الْمَأْمُورَاتِ
وَاجْتِنَابُ الْمَنْهَيَّاتِ، وَالِاقْتِصَارُ عَلَى الضَّرُورِيِّ مِنْ
الْمُبَاحَاتِ، وَهُوَ كَمَا لِقَوْلِ الْقَوِيِّ الَّتِي قَالَ اللَّهُ ﷻ عَنْهَا: ﴿إِنْ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ۝۱۳﴾ سورة الحجرات. فَهُوَ جِهَادٌ بِكُلِّ مَعَانِي
الْكَلِمَةِ: جِهَادٌ أَكْبَرُ لِلنَّفْسِ حَتَّى تَنَالَ الْفَلَاحَ الْمَوْعُودَ فِي
قَوْلِهِ ﷻ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝۹﴾ سورة الشمس. وَجِهَادٌ أَصْغَرُ
لِكُلِّ أَعْدَاءِ الْحَيَاةِ الشَّرِيفَةِ حَتَّى تَنْظُرَ بِالْهُدَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ:
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۝۶۹﴾ سورة العنكبوت.

وَالْتَصَوُّفُ بِهَذَا الْمَفْهُومِ الْعَمَلِيِّ هُوَ مِنْهَجُ الْإِسْلَامِ مِنْ مَبْدَأِهِ
إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، يَدُلُّكَ عَلَى هَذَا مَا ثَبَتَ

مُسْتَفِيضًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ الْكَرَامِ رُضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْنَا
وَعَلَيْهِمْ أَجْمِينَ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ
وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ
أَمْرُهُ فُرْطًا ۚ ٢٨ سورة الكهف.

وَقَالَ ﷻ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَرِ
رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ٢٩ سورة الفتح. وَغَيْرِ
ذَلِكَ مِّنَ الْآيَاتِ كَثِيرٍ. وَفِي السَّنَةِ يَقُولُ ﷺ: "مَا لِي

وَلِلدُّنْيَا؟ مَا مِثْلِي وَمِثْلُ الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ سَارٍ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ

فَاسْتَظَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا"

وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ

يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَنْفَطِرَ قَدَمَاهُ، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا

رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقْدَمُ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخُرُ؟!

قَالَ: أَفَلَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا. وَأَخْرَجَا أَيضًا.. عَنْ

أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ ((مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ طَعَامٍ ثَلَاثَةَ

أَيَّامٍ تَبَاعًا حَتَّى قُبِضَ)).

وَقَوْلُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (حَتَّى قُبِضَ) ، فِيهِ رَدٌّ عَلَى مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ هَذَا وَقَعَ

مِنْهُ ﷺ لِلضَّرُورَةِ وَقِلَّةِ الْأَقْوَاتِ، إِذْ لَا يَخْفَى أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

وَالسَّلَامُ قَدْ فَتِحَتْ عَلَيْهِ الْفُتُوحُ، وَكَثُرَتْ لَدَيْهِ الْغَنَائِمُ حَتَّى

كَانَ يُعْطَى الْمَنَاتِ مِنَ الْإِبِلِ وَالْأَلْفِ مِنَ الْأَغْنَامِ
وَالْمُوزُونَاتِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ لِلْمَوْلَفَةِ قُلُوبِهِمْ وَلِلْمُجَاهِدِينَ
وَيَبِيتُ طَاوِيًا وَأَهْلُهُ لَا يَجِدُونَ عِشَاءً... وَفِي حَالَةِ خُرُوجِ
رُوحِهِ ﷺ كَانَ فِي بَيْتِهِ سِتَّةُ دَنَانِيرٍ أَبْطَلُوا فِي تَوَزِيعِهَا، طَلَبَ
إِحْضَارُهَا وَقَالَ: ((مَا ظَنُّ مُحَمَّدٍ بِرَبِّهِ يَلْقَاهُ وَفِي بَيْتِهِ هَذِهِ
الدَّنَانِيرُ))... وَمَاتَ ﷺ وَدَرَعَهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ فِي ثَلَاثِينَ
صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ قُوتًا لِأَهْلِ بَيْتِهِ، هَذَا هُوَ التَّصَوُّفُ عِلْمًا وَعَمَلًا
وَمَنْ ذَاقَ عَرْفَ، وَمَنْ حَرَّمَ انْحَرَفَ.

المنهج الصوفي من الكتاب والسنة

يقول الجنيد إمام جميع طوائف الصوفية "علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة.. وقال أيضا من لم يحفظ القرآن، ويكتب الحديث، ولم يتفقه لا يقتدى به في هذا الأمر".

مصطلحات علم التصوف

أما إذا نظرنا إلى المصطلحات الصوفية من حيث الكلام عن الخواطر والأذواق، والبحث عن أحوال النفوس، وبيان شهواتها، ودسائسها الخفية ونحو ذلك... فشأنه شأن بقية العلوم الأخرى كالفقه وأصوله التوحيد، والنحو والبلاغة والهندسة والطب وغيرها.. التي لم تقع العناية بالنظر فيها

وَالْبَحْثُ فِي مُسَائِلِهَا وَفُرُوعِهَا وَتَقْرِيرُ الْمَصْطَلَحَاتِ الْخَاصَّةِ بِهَا
إِلَّا بَعْدَ عَصْرِهِ ﷺ فِي نَهَايَةِ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ الْهَجْرِيِّ وَبِدَايَةِ
الْقَرْنِ الثَّانِي وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَتْ مُسَمِّيَاتِهَا وَالْعَمَلُ بِهَا
مَوْجُودٌ قَبْلَ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ مَا يَدْعُوا لَوْضَعِ هَذِهِ
الْمَصْطَلَحَاتِ. وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي عِلْمِ التَّصَوُّفِ
بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ هُوَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ... قَالَ أَبُو سَعِيدٍ بْنُ
الْأَعْرَابِيِّ: لَمْ يَبْلُغْنَا أَنْ أَحَدًا تَكَلَّمَ فِي هَذِهِ الْمَذَاهِبِ - يَعْنِي
أَحْوَالَ النُّفُوسِ - وَدَعَا - إِلَيْهَا وَزَادَ فِي بَيَانِهَا وَتَرْتِيبِهَا، وَصِفَاتُ
أَهْلِهَا مِثْلَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ - وَهُوَ تَابِعِي - وَلَقَدْ أَخَذَهُ عَنْ
سَيِّدِنَا عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَهُوَ مِنْ هَذِهِ الْجَهَةِ مَوْصُولٌ
بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

بداية ظهور اسم الصوفية

في عهد النبي ﷺ والصحابة والتابعين كان الكل على طريق الهداية والحق كما وصفهم الله ﷻ بقوله: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُ تِجَارَةً وَلَا بَيْعَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ سورة النور. فلما جنح الناس إلى مخالطة الدنيا، وأخذوا يترحزون عن الهدى النبوي شيئا فشيئا، اختص المحافظون على سنة رسول الله ﷺ ونهج السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم باسم "الصوفية" كما أطلق على المشتغلين ببيان الأحكام الشرعية اسم الفقهاء إلى غير ذلك.

منهج الصوفي

لَا بُدَّ لِلسَّائِرِ إِلَى اللَّهِ ﷻ مِنْ رَجَاءٍ مُشَوِّقٍ وَخَوْفٍ مُقْلِقٍ،
لِذَلِكَ قَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ((مَنْ إِشْتَقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلًا عَنْ
الشَّهَوَاتِ وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ يَرْجِعْ عَنِ الْمَحْرَمَاتِ)). وَقِيلَ
لِلْجَنِّدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذَا الشَّأْنِ: فِيمَ يَصِلُ الْعَبْدُ إِلَى هَذَا؟ فَقَالَ "بِقَلْبٍ
مُفْرَدٍ، فِيهِ تَوْحِيدٌ مُجَرَّدٌ فُجِّلَ الْقَلْبُ الْمَفْرَدُ وَهُوَ الْمَشْغُولُ
بِاللَّهِ تَعَالَى دُونَ سِوَاهُ الْمَحْشُوبِ بِخَالِصِ التَّوْحِيدِ وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ
هُوَ الَّذِي يَبْعَثُ الْإِنْسَانَ عَلَى التَّوْبَةِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَقَصْرِ
الْأَمَلِ، وَهُوَ الَّذِي يَهْوَنُ عَلَيْهِ مَشَقَّةُ الْمَجَاهِدَاتِ وَالْمَكَابِدَاتِ،
وَيَجْعَلُهُ لَا يَرَى صَعْبًا دُونَ مَطْلُوبَةٍ بَلْ يَسْتَعِذُّ بِالْعَذَابِ فِي
نَيْلِ مَرْغُوبَةٍ.

مَنْ هُوَ الصُّوفِيُّ إِذَنْ؟

بِنَاءً عَلَى مَا تَقَدَّمَ نَقُولُ: هُوَ الْمُجْتَهِدُ فِي التَّاسِّي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فِي أَخْلَاقِهِ وَأَعْمَالِهِ جُهْدَ الطَّاقَةِ وَأَمَّا مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْبَطَالَةِ
وَالْجَهَالَةِ مِنَ الصَّخْبِ وَالصِّيَاحِ مَعَ التَّهَاوُنِ فِي الْأَوَامِرِ
الشَّرْعِيَّةِ وَالْآدَابِ الْإِسْلَامِيَّةِ فَلَيْسَ مِنَ التَّصَوُّفِ وَلَا مِنَ
الدِّينِ فِي شَيْءٍ... وَلَقَدْ لَخَّصَ الْعَارِفُونَ مَا يُمِيزُ التَّصَوُّفَ الْحَقُّ
عَنْ أَدْعِيَاءِ التَّصَوُّفِ فِي الْآيَاتِ الشَّهِيرَةِ الْخَمْسَةِ،
وَالْتَّخْمِيسُ لِصَاحِبِ النُّبْذَةِ.

يَا سَائِلِي عَنْ طَرِيقِ الْقَوْمِ اتَّبِعْهُ

وَهَلْ لَهُ سَنَدٌ فِي الدِّينِ أَرْفَعَهُ

هَآكَ الْبَيَانِ أَخِي أَنْ رَمَتْ يَجْمَعُهُ
لَيْسَ التَّصَوُّفُ لِبَسِ الصُّوفِ تَرْقِعُهُ
وَلَا بِكَائِكَ إِنْ غِنَى الْمَغْنُونَا
وَلَيْسَ فَلَسَفَةً كَلَّا وَلَا خُطْبَ
وَلَا تَوَاكُلَ فِي سَعْيٍ وَلَا هَرَبَ
وَلَا دَعَاوَى وَلَا أَكْلَ وَلَا كَذِبَ
وَلَا صِيَاحَ وَلَا رَقْصَ وَلَا طَرْبَ
وَلَا اخْتِبَاطَ كَانَ قَدْ صِرْتُ مَجْنُونَا
بَلْ إِنَّهُ سَنَةُ الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍّ
مَنْ ذَاقَهُ يَلْتَقِي بِسَيِّدِ الْبَشَرِ
حَقٌّ فَمَا فِيهِ مِنْ زَيْفٍ وَلَا خَطَرِ

بَلِ التَّصَوُّفِ أَنْ تَصْفُو بِلَا كَدَرٍ

وَتَتَّبِعَ الْحَقَّ وَالْقُرْآنَ وَالِدِينَا

وَأَنْ تَر_اقِبَ رَبًّا حَاضِرًا وَهَبًا

وَأَنْ تَقُومَ بِمَا فِي شَرْعِهِ وَجِبَا

تَكْفٍ عَنِ حَرَمٍ وَتَلْزِمَ الْأَدْبَاءَ

وَأَنْ تَرَى خَاشِعًا لِلَّهِ مُكْتَبًا

عَلَى ذُنُوبِكَ طُولَ الدَّهْرِ مُحْزُونًا

الشَّرِيعَةُ وَالطَّرِيقَةُ وَالْحَقِيقَةُ

الشَّرِيعَةُ هِيَ الْأَحْكَامُ الْوَارِدَةُ عَنِ الْمَشْرِعِ الْحَكِيمِ الْمَعْبَرِ عَنْهَا

بِقَوْلِهِ ﷺ: "جِئْتُكُمْ بِشَرِيعَةٍ بَيَضَاءٍ نَقِيَّةٍ، لَمْ يَأْتِ بِهَا نَبِيٌّ قَبْلِي،

وَلَوْ كَانَ أَخِي مُوسَى فِي زَمَنِي وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ لَمْ يَسْعَهُمُ إِلَّا
اتِّبَاعُ شَرِيعَتِي".^{٢٠}

وَالطَّرِيقَةُ هِيَ الْعَمَلُ بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَالتَّادِبُ بِأَدَابِهَا
وَالْحَقِيقَةُ هِيَ عُلُومٌ لَدُنِيَّةٍ وَمَعَارِفٌ رَبَّانِيَّةٌ تَحْصُلُ لِقُلُوبِ
السَّالِكِينَ بَعْدَ صِفَاتِهَا نَتِيجَةً لِلْعَمَلِ بِالشَّرِيعَةِ (أَيُّ نَتِيجَةٍ
لِسُلُوكِ الطَّرِيقَةِ).

لِذَلِكَ قِيلَ: الشَّرِيعَةُ بَابٌ، وَالطَّرِيقَةُ آدَابٌ، وَالْحَقِيقَةُ لِبَابٍ،
أَيُّ ثَمَرَاتٍ، وَنَتَاجُ لِقَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ ٢٨٢﴾
﴿سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٦﴾ وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ٢٩﴾

سُورَةُ الْأَنْفَالِ.

^{٢٠} أَوْ كَمَا قَالَ

وَمَا جَاءَ فِي الْحُكْمِ: مِنْ عَمَلٍ بِمَا عَلَّمَ أَوْثَرَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ،
وَتَنْسَبُ هَذِهِ الْعِبَارَةُ لِلْإِمَامِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مَعْنَى السُّلُوكِ وَالسَّيْرِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

مَعْنَى السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: هُوَ تَخْلِيصُ الْقَلْبِ مِنَ الشَّوَاغِلِ
الصَّارِفَةِ عَنِ التَّعَلُّقِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَالْعُودَةِ بِالرُّوحِ إِلَى مَا كَانَتْ
عَلَيْهِ عِنْدَمَا أَخَذَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهَا الْعَهْدَ الَّذِي أَخْبَرْنَا عَنْهُ بِقَوْلِهِ
الْكَرِيمِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ
وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ۚ﴾ ١٧٢
سورة الأعراف ... قَالَ صَاحِبُ الْمَبَاحِثِ: وَهُوَ ابْنُ الْبَنَاءِ:

وَلَمْ تَزَلْ كُلُّ نَفْسٍ الْأَحْيَا

عَلَّامَةً دَرَاكَةً لِلْأَشْيَا

وَأَمَّا تَعْوِقُهَا الْأَبْدَانُ
وَالْأَنْفُسُ النَّزْعُ وَالشَّيْطَانُ
فَكُلُّ مَنْ أَذَاقَهُمْ جِهَادَهُ
أَظْهَرَ لِلْقَاعِ خَرَقَ الْعَادَةِ
كَيْفِيَّةَ السُّلُوكِ وَالسَّيْرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى
السَّيْرُ إِلَى اللَّهِ ﷻ هُوَ تَطْبِيقُ مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ
الْمَرْوِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْبَخَارِيِّ وَغَيْرِهِ وَالْحَصُولُ عَلَى
نَتَائِجِهِ وَثَمَرَاتِهِ وَهُوَ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
"إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا
تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا
يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحَبَبْتُهُ:

كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ، وَيَدَهُ
الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي
لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِذَنَّهُ".

وَمُلَخَّصٌ مَعْنَاهُ أَنْ يُوَالِيَ الْعَبْدَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ تَعَالَى وَيُعَادِيَ
أَعْدَاءَهُ، وَيَكْفِ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ، وَيُؤَدِّي مَا افْتَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ،
ثُمَّ يَزِيدُ فِي الطَّاعَاتِ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ ﷻ حَتَّى يَكُونَ عِنْدَ اللَّهِ
مُحِبُّوًّا وَيَصِيرُ رَبَّانِيًّا أَيْ يَتَوَلَّاهُ اللَّهُ ﷻ بِالْهُدَايَةِ وَالرِّعَايَةِ
وَالْحِمَايَةِ وَالْكَفَايَةِ وَلَا يَكِلُهُ إِلَى نَفْسِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ وَلَا أَقْلَ مِنْ
ذَلِكَ.

أَرْكَانُ الطَّرِيقِ

أَرْكَانُ الطَّرِيقِ هِيَ كَمَا بَيْنَهَا الْعَارِفُ بِاللَّهِ ﷻ سَيِّدِي أَحْمَدُ

الطَّاهِرُ عَلَيْهِ سَحَابُ الرَّحْمَةِ فِي كِتَابِهِ "مَطِيَّةُ السَّالِكِ" اثْنَا عَشَرَ:

﴿الرَّكْنُ الْأَوَّلُ﴾ الصِّدْقُ: فِي مَقَامَاتِ الدِّينِ كُلِّهَا فِي

النِّيَّاتِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ. وَبِهِ أَمَرَ اللَّهُ ﷻ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ١١٩﴾ سورة التوبة.

﴿الرَّكْنُ الثَّانِي﴾ التَّوْبَةُ: وَأَرْكَانُهَا أَرْبَعَةُ النَّدَمِ، وَالْإِقْلَاعِ

عَنِ الذَّنْبِ فِي الْحَالِ، وَالْعَزْمُ عَلَى عَدَمِ الْعُودِ، وَرَدُّ الْحَقُوقِ

لِأَصْحَابِهَا، وَبِهَا الْأَمْرُ الْكَرِيمُ مِنَ اللَّهِ ﷻ ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ

جَمِيعًا يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ٣١﴾ سورة النور.

الرُّكْنُ الثَّالِثُ ❦ اتِّخَاذُ الشَّيْخِ الْمُرْشِدِ: اقْتَضَتْ إِرَادَةُ اللَّهِ
وَجَلَّالَهُ أَنْ ارْتِبَاطَ الْأَرْوَاحِ بِبَعْضِهَا بِبَعْضٍ يُوجِبُ لَهَا سَرِيَانُ
الْمَزَايَا الْمَوْجُودَةِ بِهَا، وَهَذَا أَمْرٌ يُؤَيِّدُهُ الْوَاقِعُ وَيَشْهَدُ لَهُ الْعِيَانُ
لِذَلِكَ جَعَلَ أَهْلُ الطَّرِيقِ رُضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمُ اتِّخَاذَ الشَّيْخِ مِنْ
أَعْظَمَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مُرِيدُ السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ ﷻ لِتَسْرِي إِلَى رُوحِهِ
تِلْكَ الصِّفَاتُ الَّتِي صَارَتْ لِشَيْخِهِ مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَى دَارِ الْخُلُودِ
وَالْتَجَانِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، إِذَا الْجَلِيسُ الصَّالِحُ كَحَامِلِ
الْمِسْكِ... إِمَّا أَنْ يَحْدِيكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ أَوْ تَجِدَ رِيحًا
طَيِّبَةً... وَلِهَذَا كَانَتْ مَنْزِلَةُ الصَّحَابَةِ ﷺ فَوْقَ كُلِّ مَنْزِلَةٍ لِمَنْ
أَتَى بَعْدَهُمْ لِتَشْرِفَهُمْ بِالْاجْتِمَاعِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى آلِهِ
وَسَلَّمَ. وَلَكِنْ حُصُولَ مَزَايَا رُوحِ الشَّيْخِ لِلْمُرِيدِ لَا يَحْصُلُ

إِلَّا بِشِدَّةٍ تَعْلُقُهُ بِهِ وَدَوَامِ اسْتِحْضَارِهِ لَهُ فِي كُلِّ شَوْنِهِ وَاعْتِقَادِ
أَنَّ رُوحَ شَيْخِهِ هِيَ الْحَبْلُ الَّذِي يَصِلُ بِسَبَبِ تَعْلُقِهِ بِهِ إِلَى
تَبْدِيلِ الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ إِلَى الصِّفَاتِ الَّتِي تَوْهِّلُهُ لِلدُّخُولِ
إِلَى حَضْرَةِ رَبِّهِ وَعِجْكَ. وَقَدْ أَرْشَدَ اللَّهُ عِجْكَ إِلَى ذَلِكَ فَقَالَ:
﴿الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا ٥٩﴾ سورة الفرقان. وَقَالَ: ﴿فَاسْأَلُوا
أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٤٣﴾ سورة النحل. وَقَالَ: ﴿أَوَلَيْكَ
الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهْدَاهُمْ أَقْتَدَهُ ٩٠﴾ سورة الأنعام وَفِي قِصَّةِ سَيِّدِنَا
مُوسَى وَالْخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مَا يَغْنِي عَنْ كُلِّ دَلِيلٍ. وَتَلْقَيْنِ
الشَّيْخَ لِلْمَرِيدِ وَمُبَايَعَتَهُ عَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ إِقْدَاءً بِالْكِتَابِ
وَالسُّنَّةِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ يَدِ
اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ١٠﴾ سورة الفتح. وَلَمَّا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَالْبَزَارُ

وغيرهما أن رسول الله ﷺ لقن أصحابه كلمة التوحيد جماعة
وفردى.

ففي رواية شداد بن أوس رضي الله عنه قال: كما عند رسول الله ﷺ
فقال: (هل فيكم غريب؟) - يعني من أهل الكتاب - قلنا
لا يا رسول الله فامر بخلق الباب وقال: ارفعوا أيديكم وقولوا
(لا إله إلا الله) ... فرفعنا أيدينا ساعة وقلنا (لا إله إلا الله)
هذا سند التلقين جماعة.

أما التلقين فرادى فسنده قول الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب
كرم الله وجهه (يا علي، عليك بمداومة ذكر الله ﷻ سرًا
وجهرًا) فقال له: كيف أذكر يا رسول الله؟ ... قال (اغمض
عينيك واسمع مني) ... (لا إله إلا الله) ثلاث مرات، ثم

قُلْ أَنْتَ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَأَنَا أَسْمَعُ^٣ ثُمَّ رَفَعَ
رَأْسَهُ وَمَدَّ صَوْتَهُ وَهُوَ مَغْمُضٌ عَيْنَيْهِ وَقَالَ (لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا رَفَعَ رَأْسَهُ وَمَدَّ صَوْتَهُ وَهُوَ
مُغْمِضٌ عَيْنَيْهِ وَقَالَ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَالنَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْمَعُ.

الرَّكْنُ الرَّابِعُ: الذِّكْرُ: وَهُوَ أَعْظَمُ الْأَرْكَانِ نَفْعًا حَتَّى قِيلَ (إِنَّ
الطَّرِيقَ هِيَ الذِّكْرُ) لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْتَهِي عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ٤٥﴾ سورة العنكبوت. وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ

^٣ أنظر مطية السالك إلى مالك الممالك للعارف بالله الشيخ أحمد الطاهر الحامدي ص (٣٥، ٣٦)،

وَفَقْ إِرْشَادِ الشَّيْخِ وَتَوَجُّهَاتِهِ بِمَا يَتَلَاَمُ مَعَ أَحْوَالِ نَفْسِ
الْمُرِيدِ وَعِلَاجِهَا.

وَلَاَنَّ الذِّكْرَ هُوَ مَنْشُورُ الْوَلَايَةِ وَسَبَبُ تَنْوِيرِ الْقَلْبِ وَتَفْرِيعِهِ مِنْ
الْأَغْيَارِ وَتَطْهِيرِهِ مِنَ الْأَكْدَارِ ، فَلِذَا وَظَفَ الْقَوْمُ لَهُ أَوْرَادًا.
وَالْأَوْرَادُ هِيَ أَهَمُّ الْأَصُولِ فِي الطَّرِيقِ وَلَا يَنَالُ الْمُرِيدُ نَصِيبًا
مِنْ نَتَاجِ سِيرِهِ فِي الطَّرِيقِ إِلَّا بِمُلَازِمَتِهَا وَالْاجْتِهَادِ فِيهَا، فَإِنَّهَا
مَوْرِدُ الْإِمْدَادِ وَسَبِيلُ الْقُرْبِ مِنْ رَبِّ الْعِبَادِ.

وَلَمَّا كَانَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْأَوْرَادِ هُوَ تَطْهِيرُ الْقَلْبِ مِنَ التَّعَلُّقِ
بِالْأَغْيَارِ وَحَشْوِهِ بِالْفَيُوضَاتِ وَالْأَنْوَارِ، كَانَ لَا بُدَّ لِلْمُرِيدِ مِنْ
مُلَاحَظَةِ مَعَانِيهَا مَعَ الْإِشْتَغَالِ بِتَرَكَيبِهَا وَمُبَانِيهَا ... وَإِلَّا فَإِنَّهَا
لَا تُفِيدُ فِي تَطْهِيرِ الْقَلْبِ مِنَ الْأَكْدَارِ ... وَمِنْ الْغَرِيبِ أَنَّ

الْمُرِيدُ يَسْخُو بِنَفْسِهِ فِي تَحْصِيلِ لَذَائِدِهِ وَتَجْمِيلِ مَنْظَرِهِ هُوَ
وَيَنْفَقُ فِي ذَلِكَ أَغْلَى أَوْقَاتِهِ وَيُضِيقُ بَوْرَدَهُ - وَلَوْ بِلِسَانِهِ - أَنْ
يَصْرِفَ فِي الْإِشْتَغَالِ بِهِ أَقْلَ الْقَلِيلِ مِنَ الْأَوْقَاتِ وَمَعَ ذَلِكَ
يُظَنُّ أَنَّهُ مِنَ الْمُرِيدِينَ لِلَّهِ ﷻ ... وَحَاشَا حَضْرَةَ اللَّهِ أَنْ يَحْطَى
بِهَا مَنْ كَانَ عَنْهَا غَافِلًا وَبِغَيْرِهَا مُشْتَغَلًا وَلَا أَوْقَاتِهِ فِي غَيْرِهَا
صَارِفًا ... وَمِثْلُ هَذَا لَا يَفِيدُهُ فِي تَطْهِيرِ قَلْبِهِ مِنَ الشَّوَاغِلِ
وَتَوْوِيرِهِ بِأَنْوَارِ شُهُودِ الْحَقِّ ﷻ وَلَوْ أَتَتْ كُلُّ جَارِحَةٍ مِنْ
جَوَارِحِهِ بِعِبَادَةِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ.

وَمَعَ هَذَا لَا يَنْبَغِي تَرْكُ الْأَوْرَادِ مَعَ تَجَرُّدِهَا عَنْ حُضُورِ
الْقَلْبِ وَعَدَمِ اسْتِحْضَارِ مَعَانِيهَا، لِأَنَّ الْإِشْتَغَالَ بِطَاعَةِ اللَّهِ
بِالْجَوَارِحِ مَعَ غَفْلَةِ الْقَلْبِ خَيْرٌ مِنَ الْإِعْرَاضِ عَنْهُ ﷻ

بِالْكَلِيَّةِ ... وَمِنْ الْأَشْتَغَالِ بغيرِهِ ﷺ بِالْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ ...
وَلأنَّهُ بِبِرَكَةِ الْمُواظَبَةِ عَلَى الذِّكْرِ اللِّسَانِيِّ تَدْرِكُهُ عنايةُ اللَّهِ ﷻ
وَيَحْسِنُ حالَهُ وَيَنْقِلُهُ مِنْ ذِكْرٍ مَعَ غَفْلَةٍ إِلَى ذِكْرٍ مَعَ يَقْظَةٍ ثُمَّ
إِلَى ذِكْرٍ مَعَ حُضُورٍ ثُمَّ إِلَى ذِكْرٍ مَعَ الْغَيْبَةِ فِي الْمَذْكُورِ، وَمَا
ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ وَمَا الْأَوْرَادُ إِلَّا مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْآيَاتِ
الْقُرْآنِيَةِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ وَالِدَّعَوَاتِ الْمَشْتَمِلَةِ عَلَى أَسْمَائِهِ
ﷻ مَعَ الصَّلَوَاتِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالِاسْتِغْفَارِ وَكُلِّ
ذَلِكَ جَاءَ الْأَمْرُ بِهِ وَالْحَثُّ عَلَيْهِ مِنَ الشَّارِعِ الْحَكِيمِ الَّذِي
خَلَقَ النُّفُوسَ وَهُوَ أَعْلَمُ بِدَائِمِهَا وَدَوَائِمِهَا.
وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي مُرَاعَاةُ الْأَدَابِ الَّتِي بَيْنَهَا الْأَشْيَاخُ فِي آدَابِ

الْمَذْكُرِ لِأَنَّ الْمَذَّاكِرَ جَلِيسُ اللَّهِ وَمَذْكُورٌ مِنْهُ وَمِنْ الْمَلَأِ الْأَعْلَى

...

وَلَا يَسْتَمِعُ الْمُرِيدُ لِمَنْ يَهْرَفُ بِقَوْلِهِ: إِنَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ أَفْضَلُ
مِنْ الْأَشْتَغَالِ بِالْأَوْرَادِ. فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ مَعْنَى مَا يَقُولُ، لِأَنَّ
الْأَوْرَادَ مَا هِيَ إِلَّا مَا سَبَقَ ذِكْرَهُ مِنْ قُرْآنٍ أَوْ تَهَجُّدٍ بِهِ أَوْ
إِمْتِثَالٍ لِأَمْرِهِ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ أَوْ بِالِاسْتِغْفَارِ
وَفِعْلِ الْخَيْرِ مِنْ أَيِّ لَوْ كَانَ إِمْتِثَالًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَأَفْعَلُوا
الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ ٧٧ سورة الحج ... فَافْهَمِ أَرْشَدَنَا اللَّهُ
وَإِيَّاكَ إِلَى الصَّوَابِ.

... آدابُ الذِّكْرِ ...

قَبْلَ الشَّرُوعِ فِي الذِّكْرِ يَسْتَحِبُّ تَطْهِيرُ الْجَسَدِ وَالثَّوْبِ وَتَطْيِيبُ
الْمَكَانِ وَاعْدَادُهُ لِاسْتِقْبَالِ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ سَيَشْهَدُونَ
الذِّكْرَ... وَأَنْ يَبْدَأَ الذَّاكِرُ بِالتَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ ﷻ وَالِاسْتِغْفَارِ مِنَ
الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ... وَيَجْلِسُ مُسْتَقْبِلًا الْقِبْلَةَ - مَا أَمَكَنَ -
وَيَسْتَحْضِرُ صُورَةَ شَيْخِهِ فَإِنْ لَمْ يَتيسَّرْ فَلْيَسْتَحْضِرْهُ فِي قَلْبِهِ
لِيَكُونَ رَفِيقَهُ فِي السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ ﷻ... وَأَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ حُبًّا فِي
اللَّهِ وَأَدَاءً لِحَقِّ الْعِبَادَةِ الَّتِي خُلِقَ لَهَا لَا لَطَلَبِ دُنْيَا أَوْ أُخْرَى.

٤ والحديث الصحيح فيما رواه أحمد و الشيخان "إن لله ملائكة سياحين في الأرض فضلاً عن كتاب
الناس، يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله نادوا: هلموا إلي حاجتكم
يحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا".

وَيَغْمُضُ عَيْنَهُ لِأَنَّهُ أَسْرَعُ فِي تَوِيرِ الْقَلْبِ، وَيَمِيلُ بِرَأْسِهِ فِي
ذِكْرِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) إِلَى الْجِهَةِ الْيُمْنَى ب (لَا) وَيَرْجِعُ ب
(إِلَهِ) إِلَى جِهَةِ صَدْرِهِ مَعَ الْإِنْخَاءِ إِلَى الْأَمَامِ قَلِيلًا وَب (إِلَّا
اللَّهُ) إِلَى جِهَةِ الْقَلْبِ فِي الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ، وَيَنْعَتُهَا مِنْ سِرِّهِ
إِلَى قَلْبِهِ حَتَّى تَنْزِلَ الْجَلَالَةُ عَلَى الْقَلْبِ فَتَحْرِقُ سَائِرَ الْخَوَاطِرِ
الرَّدِيئَةِ ... وَيَحَقِّقُ الْهَمَزَةَ وَيَمْدُ الْأَلْفَ مَدًّا طَبِيعِيًّا أَوْ أَكْثَرَ
وَيَنْفَتِحُ الْهَاءُ مِنْ إِلَهِ وَيُسْكِنُ الْهَاءُ مِنْ اللَّهِ. أَمَّا بَقِيَّةُ الْأَسْمَاءِ
السَّبْعَةِ - الَّتِي سَيَأْتِي ذِكْرُهَا - فَيَنْعَتُهَا مِنْ سِرِّهِ وَيَنْزِلُ بِهَا إِلَى
قَلْبِهِ إِلَى قُدَامِ وَإِلَى خَلْفِ بَإِنْخَاءٍ وَقِيَامٍ ... وَيُصْنَعِي حَالُ
الذِّكْرِ إِلَى قَلْبِهِ مُسْتَحْضِرًا لِلْمَعْنَى حَتَّى كَانَ قَلْبُهُ هُوَ الذَّاكِرُ وَهُوَ
يَسْمَعُهُ وَلَا يَخْتَمُ حَتَّى يَحْصُلَ لَهُ نَوْعٌ مِنَ الْإِسْتِغْرَاقِ وَالشَّوْقِ

والهَيْمَانِ ... ثُمَّ إِذَا خَتَمَ سَكَتَ وَسَكَنَ وَاسْتَحْضَرَ الذِّكْرَ
بِإِجْرَائِهِ عَلَى قَلْبِهِ مَعَ التَّمَهُّلِ وَلَعَلَّهُ يَرُدُّ عَلَيْهِ وَارِدٌ فِي لَحْظَةٍ
فِيَعْمُرُهُ بِمَا لَمْ تَعْمُرْهُ الْمَجَاهِدَةُ ثَلَاثِينَ سَنَةً ... إِمَّا وَارِدَ زُهْدٍ
أَوْ تَحْمِلُ أَذًى أَوْ مَحَبَّةَ اللَّهِ وَفِي اللَّهِ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ. وَمِنْ آدَابِ
الذِّكْرِ الْمَوْكَدَةِ عَدَمُ شُرْبِ الْمَاءِ أَثْنَاءَهُ أَوْ عَقْبَهُ لِأَنَّ لِلذِّكْرِ
حَرَارَةً تَجْلِبُ الْأَنْوَارَ وَالتَّجَلِّيَّاتِ وَالْوَارِدَاتِ ... وَشُرْبُ الْمَاءِ
يُطْفِئُ هَذِهِ الْحَرَارَةَ وَأَقْلَهُ أَنْ يَصْبِرَ نِصْفَ سَاعَةٍ ... وَكُلَّمَا كَثُرَ
كَانَ أَفْضَلَ.

مَا يُنَاسِبُ كُلَّ مَرَحَلَةٍ مِنْ مَرَاكِحِلِ النَّفْسِ مِنْ

الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى

طَرِيقُ الصُّوفِيَّةِ سُدَّاهَا الْآدَابُ وَلَحْمَتُهَا الذِّكْرُ فَلَا يَتِمُّ نَسْجُهَا
إِلَّا بِهِمَا، فَالْآدَابُ تَهْدِي النُّفُوسَ، وَالذِّكْرُ يَرِقُّ الْحَجَبَ وَيُنَوِّرُ
الْقَلْبَ. وَلِإِزَالَةِ الْحَجَبِ الظُّلُمَانِيَّةِ وَالنُّورَانِيَّةِ عَنِ الْمُرِيدِ وَضَعُ
أَهْلُ الطَّرِيقِ الْخُلُوتِيَّةِ أَسْمَاءَ سَبْعَةٍ لِلذِّكْرِ وَفَقَ حَالِ النَّفْسِ،
وَالنَّفْسُ عِنْدَهُمْ لَهَا سَبْعُ مَرَاكِحِلَ وَهِيَ: ١. الْأُولَى ٢. النَّفْسُ
الْأَمَّارَةُ: وَهِيَ الَّتِي تَأْمُرُ بِالسُّوءِ دَائِمًا وَالَّتِي قَالَ اللَّهُ ﷻ فِيهَا
﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ ٣. سُورَةُ يُوسُفَ وَقَدْ وَضَعُوا لَهَا ذِكْرَ
(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) لِأَنَّ النَّفْسَ فِي هَذِهِ الْمَرَحَلَةِ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَطَالِبِهَا

الْمَادِيَّةُ، مِنْهُمْكَ فِي تَحْصِيلِ شَهَوَاتِهَا مُعْرَضَةً بِالْكَلِيَّةِ عَنْ رَبِّهَا
... وَلَمَّا كَانَ الذِّكْرُ ... (بَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) مُشْتَمِلًا عَلَى نَفْيِ
كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَى اللَّهِ وَاثْبَاتِ حَقِّ الْعِبَادَةِ الْكَامِلَةِ لَهُ ﷻ ،
فَإِنَّ الْمَدَاوِمَةَ عَلَيْهِ تَقْتَلِعُ مِنَ النَّفْسِ حُبَّ غَيْرِهِ ﷻ وَتُوجِّهُهَا
إِلَى مَنْ خَلَقَهَا وَسَوَّاهَا.

الْثَّانِيَةِ ﷻ النَّفْسِ اللَّوَامَةِ: الَّتِي قَالَ اللَّهُ ﷻ فِيهَا ﴿وَلَا
أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ۚ﴾ سورة القيامة. وَهِيَ الَّتِي تَأْمُرُ بِالْمَعَاصِي
وَلَكِنْ تَلُومُ صَاحِبَهَا وَتَحْمِلُهُ عَلَى التَّوْبَةِ وَقَدْ وَضَعُوا لَهَا ذِكْرَ لَفْظِ
الْجَلَالَةِ (اللَّهُ) لِأَنَّ تَجْلِيهِ يُفْنِيهَا حَيْثُ لَا يَكُونُ هُنَاكَ انْشِغَالُ
وَلَا رُؤْيَا إِلَّا بِهِ ﷻ.

﴿الثَّالِثَةُ﴾ النَّفْسُ الْمُلْهِمَةُ: الَّتِي قَالَ اللَّهُ ﷻ عَنْهَا
﴿فَالْهَمَّهَا فَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ ٨ سورة الشمس. وَهِيَ الَّتِي أَلْهَمَتْ
مَعْرِفَةَ عَيْبِهَا فَلَا تَرَى لَهَا تَقْوَى وَلَا عَمَلًا وَصَاحِبَهَا فَإِنَّ فِي
مَقَامِ السُّكْرِ وَالْفَنَاءِ، وَقَدْ وَضَعُوا لَهَا ذِكْرَ الْأَسْمِ (هُوَ) فَإِنَّهُ
مَوْضِعٌ لِحَقِيقَةِ الْحَقِّ فَذَكَرَهُ يُنَاسِبُ حَالَةَ الْفَانِي فِي ذِكْرِ اللَّهِ
وَعَبْدُكَ فَلَا يَرَى فَاعِلًا غَيْرَهُ ﷻ.

﴿الرَّابِعَةُ وَالْخَامِسَةُ وَالسَّادِسَةُ﴾ النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ
وَالرَّاضِيَةُ وَالْمَرْضِيَّةُ: اللَّاتِي وَرَدَ ذِكْرُهَا عَلَى التَّرْتِيبِ فِي قَوْلِهِ
﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ٢٧ ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً
مَرْضِيَّةً﴾ ٢٨ سورة الفجر.

النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ: سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِرُجُوعِهَا لِمَقَامِ الْبَقَاءِ بِرَبِّهَا
وَسُكُونِهَا لِلْمَقَادِيرِ لِشُهُودِهَا أَنْفِرَادِ الْحَقِّ ﷻ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَشُهُودِهَا
لِصِفَاتِهِ فِي آثَارِ صُنْعِهِ فَتَرَى كُلَّ شَيْءٍ جَمِيلًا ... لِذَلِكَ كَانَ
وَصُولُ النَّفْسِ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ هُوَ أَوَّلُ قَدَمٍ لَهَا فِي الطَّرِيقِ
وَصَاحِبُ هَذِهِ النَّفْسِ يُعَدُّ مِنْ أَهْلِ الطَّرِيقِ وَقَبْلَ ذَلِكَ كَانَ
يُعَدُّ مُرِيدًا فَقَطْ وَوَضَعُوا لَهَا ذِكْرَ الْأِسْمِ (حَقٌّ) لِأَنَّ تَجَلِّيَهُ
يَحْصُلُ بِهِ دَوَامُ الطَّمَأْنِينَةِ.

فَإِذَا اسْتَمَرَّتِ النَّفْسُ فِي الطَّمَأْنِينَةِ وَاسْتَمَرَّ الْمُرِيدُ وَاقِفًا بِالْبَابِ
كَانَتْ نَفْسُهُ (رَاضِيَةً) وَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى مِنْ اللَّهِ ﷻ.
وَوَضَعُوا لَهَا ذِكْرَ الْأِسْمِ (حَيٌّ) لِتَجَلِّيِ اللَّهِ ﷻ عَلَيْهِ بِالْحَيَاةِ
السَّرْمَدِيَّةِ.

فَإِذَا خَلَعَتْ عَلَيْهِ خَلْعَهُ (الْحَيُّ) صَارَتْ نَفْسُهُ (مَرْضِيَّةً): أَيِ
مَرْضِيًّا عَنْهَا مِنْ اللَّهِ ﷻ لِرِضَاهَا عَنْهُ: وَيُنَاسِبُهَا ذِكْرُ اسْمِهِ ﷻ
(قِيُومٌ) لِأَنَّهُ بِهِ قِوَامُ الْعَالَمِ فَتَخْلَعُ عَلَيْهِ خَلْعُ الْقِيُومِيَّةِ وَهِيَ
التَّصَرُّفُ فِي الْعَالَمِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﷻ فَيَصْلَحُ لِلْخَلَافَةِ.

السَّابِعَةُ ﴿النَّفْسُ الْكَامِلَةُ﴾: إِذَا اسْتَمَرَ السَّالِكُ عَلَى الْبَابِ
مَعَ دَوَامِ التَّبَتُّلِ وَالْإِنْكَسَارِ تَجَلَّى عَلَيْهِ الْحَقُّ بِشُهُودِ الذَّاتِ
شُهُودًا قَلْبِيًّا تَفْضُلًا مِنْهُ وَإِحْسَانًا وَعِنْدَئِذٍ تَصْبِحُ النَّفْسُ
(كَامِلَةً) وَهِيَ الْمَشَارُ إِلَيْهَا فِي قَوْلِهِ ﷻ وَادْخُلِي جَنَّتِي ٣٠

﴿سورة الفجر﴾. أَيِ جَنَّةِ شُهُودِي فِي الدُّنْيَا لِأَنَّهُ نَعِيمٌ مُعْجَلٌ فِي
الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ .. وَيُنَاسِبُهَا ذِكْرُ اسْمِهِ ﷻ (قَهَّارٌ) لِيَخْلَعُ عَلَيْهِ

خَلَعَةً يَقْهَرُ بِهَا الْمُعَانِدِينَ لِلْحَقِّ لِأَنَّهُ صَارَ دَاعِيًا مِنْ دُعَاةِ الْحَقِّ
جَلَّ وَعَلَا.

الرَّكْنُ الْخَامِسُ ﷺ السَّهْرُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ﷻ ، بِقَدْرِ مَا
يَتَيَسَّرُ. قَالَ ﷺ فِيَمَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ: "عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ
الَّيْلِ فَإِنَّهُ دَابُّ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ وَقُرْبَةٌ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ
وَمَكْفَرَةٌ لِلْسَّيِّئَاتِ وَمَنْهَاجٌ عَنِ الْإِثْمِ وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ"
وَأَفْضَلُهُ مَا كَانَ فِي ثَلَاثِ اللَّيْلِ الْآخِرِ وَأَقْلَهُ رَكْعَتَانِ.

الرَّكْنُ السَّادِسُ ﷺ الْجُوعُ: أَيُّ تَقْلِيلِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ
فَفِيهِ صِحَّةٌ لِلْبَدَنِ وَصِحَّةٌ فِي الدِّينِ لِقَوْلِهِ ﷺ: "مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ
وَعَاءٌ شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ فَإِنْ كَانَ لَا مُحَالَهَ فَاعِلًا فَثَلَاثُ لِطْعَامِهِ
وَثَلَاثُ لَشْرَابِهِ وَثَلَاثُ لِنَفْسِهِ" ... وَيُرْوَى عَنْهُ ﷺ: "أَحْيَا

قُلُوبِكُمْ بِقِلَّةِ الضَّحِكِ وَقِلَّةِ الشَّبَعِ وَطَهْرُوهَا بِالْجُوعِ تَصْفُو
وَتَرْقُ."

الرَّكْنُ السَّابِعُ: الصَّمْتُ: صَمَّتِ اللِّسَانُ إِلَّا عَنِ الْخَيْرِ، جَاءَ
فِي الْحَكْمِ "الصَّمْتُ حِكْمَةٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ" ... وَصَمَّتْ عَنِ التَّفَكِيرِ
إِلَّا فِيمَا يَعُودُ بِالنَّفْعِ عَلَى النَّاسِ لِقَوْلِهِ ﷺ: "مَنْ حُسِنَ إِسْلَامُ
الْمَرْءِ تَرَكَهُ مَا لَا يَغْنِيهِ" وَلِقَوْلِهِ ﷺ: "مَنْ صَمَّتْ نَجًّا".

الرَّكْنُ الثَّامِنُ ؕ العزلة: عدمُ المخالطة لمن يشغله عن ربه
كما قيل:

لِقَاءُ النَّاسِ لَيْسَ يُفِيدُ شَيْئًا سِوَى الْهَدْيَانِ مِنْ قِيلٍ وَقَالَ
فَاقْلَلْ مِنْ لِقَاءِ النَّاسِ إِلَّا لِأَخْذِ الْعِلْمِ أَوْ إِصْلَاحِ حَالِ

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَمَا سَلَ مَا النَّجَاةُ؟ ... قَالَ: "أَمْسِكْ عَلَيْكَ
لِسَانَكَ، وَلْيَسَعَكَ بَيْتُكَ، وَأَبِكْ عَلَى خَطِيئَتِكَ".

الرَّكْنُ التَّاسِعُ ﴿الصَّبْرُ﴾: صَبْرٌ عَلَى الطَّاعَةِ وَصَبْرٌ عَنِ
الْمَعْصِيَةِ وَصَبْرٌ عَلَى الْمَصَائِبِ قَالَ اللَّهُ ﷻ إِنَّمَا يَوْفَى
الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿سورة الزمر﴾. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
"الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ".

الرَّكْنُ الْعَاشِرُ ﴿الشُّكْرُ﴾: وَهُوَ صَرَفُ نِعَمِ اللَّهِ ﷻ فِيمَا
خَلَقَهَا لِأَجَلِهِ، قَالَ ﷻ لَنْ شَكَرْتُمْ لَا زِيدُنَا وَلَنْ كَفَرْتُمْ
إِنْ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿سورة إبراهيم﴾.

الرَّكْنُ الْحَادِي عَشَرَ ﴿الْفِكْرُ﴾: وَهُوَ التَّفَكُّرُ فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ
وَنِعَمِهِ وَفَضْلِهِ لِقَوْلِهِ ﷻ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا

وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ
النَّارِ ١٩١ ﴿سورة آل عمران﴾ وَلِقَوْلِهِ ﷺ "تَفَكَّرْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةٍ
سَنَةٍ". وَلِقَوْلِهِ ﷺ "تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي ذَاتِهِ
فَتَهْلِكُوا".^٥

﴿الرَّكْنُ الثَّانِي عَشَرَ﴾ الرِّضَا: وَهُوَ الرِّضَا بِاللَّهِ وَعَنِ اللَّهِ
لِقَوْلِهِ ﷺ "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِحِكْمَتِهِ وَجَلَالِهِ جَعَلَ الرُّوحَ وَالْفَرْحَ
فِي الرِّضَا وَالْيَقِينَ، وَجَعَلَ الْغَمَّ وَالْحُزْنَ فِي الشَّكِّ وَالسَّخَطِ".^٦

^٥ في كتاب المطية للشيخ أحمد الطاهر

^٦ في كتاب الإحياء

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "أَرْضٌ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ" ..
الْحَدِيثُ.

وَبَعْضُهُمْ جَعَلَ التَّزَاوُرَ فِي اللَّهِ رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِ الطَّرِيقِ لِقَوْلِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "امْشِ ثَلَاثَةَ أَمْيَالٍ زُرْ أَخَاكَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ" ^٧ ..
الْحَدِيثُ. وَبَعْضُهُمْ جَعَلَ مُطَالَعَةَ كُتُبِ الْقَوْمِ مِثْلَ (مَطِيَّةِ
السَّالِكِ) لِلشَّيْخِ أَحْمَدَ الطَّاهِرِ، وَ (الْإِحْيَاءِ) لِلْغَزَالِيِّ، وَالْحَكْمِ
(لَا بِنَ عَطَاءٍ) لِلَّهِ السَّكَنْدَرِيِّ فَضْلًا عَنْ كُتُبِ الشَّعْرَانِيِّ
وَالْقَشِيرِيِّ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَوْرَادِ الطَّرِيقِ.

^٧ أو كما قال

آدابُ الطَّرِيقِ

آدابُ الطَّرِيقِ كَثِيرَةٌ مِنْهَا:

﴿ آدابُ الْمُرِيدِ مَعَ شَيْخِهِ ﴾ أَهْمُهَا تَعْظِيمُهُ وَتَوْقِيرُهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَعَدَمُ الْإِعْتِرَاضِ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ فَعَلَهُ... وَيُؤْوِلُ مَا لَا يَفْهَمُهُ مِنْ أَفْعَالِهِ، وَلَا يَزُورُ صَالِحًا إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا يَحْضُرُ مَجْلِسَ غَيْرِهِ وَلَا يَقْعُدُ وَشَيْخَهُ وَاقِفًا، وَلَا يَنَامُ بِحَضْرَتِهِ إِلَّا لِحَاجَةٍ، وَلَا يَكْثُرُ الْكَلَامَ بِحَضْرَتِهِ وَلَوْ بِاسْطِطَاعِهِ، وَلَا يَجْلِسُ عَلَى سَجَادَتِهِ، وَلَا يُسَبِّحُ بِسُبْحَتِهِ وَلَا يَجْلِسُ فِي الْمَكَانِ الْمَعْدِيِّ لَهُ، وَلَا يَفْعَلُ فِعْلًا مِنْ الْأُمُورِ الْمُهْمَةِ كَسَفَرٍ بَعِيدٍ أَوْ زَوَاجٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا يَمْسِكُ يَدَهُ لِلسَّلَامِ وَيَدَهُ مَشْغُولَةً، وَلَا يَمْشِي أَمَامَهُ إِلَّا إِذَا كَانَ مَشِيَهُ أَمَامَهُ صَوْنًا لَهُ أَوْ عَمَلًا عَلَى رَاحَتِهِ، وَلَا يَذْكُرُهُ

عِنْدَ أَعْدَائِهِ، وَأَنْ يَرَى كُلَّ نِعْمَةٍ وَصَلَتْ لَهُ مِنْ بَرَكَتِهِ، وَالْأَ
يُصَادِقُ مَنْ كَانَ الشَّيْخُ يَبْغِضُهُ فِي اللَّهِ، وَأَنْ يَصْبِرَ عَلَى جَفْوَتِهِ
وَأَعْرَاضِهِ عَنْهُ وَأَنْ يَحْمِلَ كَلَامَهُ عَلَى ظَاهِرِهِ فَيَمْتَثِلَهُ إِلَّا لِقَرِينَةٍ
صَارِفَةٍ عَنْ إِرَادَةِ الظَّاهِرِ وَأَنْ يُلَازِمَ الْوَرْدَ الَّذِي رَتَبَهُ لَهُ، فَإِنْ
مَدَدَ الشَّيْخُ فِي وَرْدِهِ وَمَنْ تَخَلَّفَ الْوَرْدَ حُرْمَ الْمَدَدِ.

آدَابُ الْمُرِيدِ مَعَ إِخْوَانِهِ وَمَعَ عَامَّةِ النَّاسِ ۞ أَنْ يَكُونَ
مُحِبًّا لَهُمْ كَحُبِّهِ لِنَفْسِهِ، عَامِلًا بِقَوْلِهِ ﷺ "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ،
حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ" وَأَنْ يَنْصَحَ لَهُمْ، عَمَلًا بِقَوْلِهِ
ﷺ "الَّذِينَ النَّصِيحَةُ قَالُوا لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ
وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَتِهِمْ" وَأَنْ يُشْجِعَهُمْ وَيُحَثِّمَهُمْ عَلَى
السَّيْرِ فِي طَرِيقِ اللَّهِ ﷻ بِالْحُسْنَى وَبِقَدْرِ عِلْمِهِ، عَمَلًا بِقَوْلِهِ

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ﴾ ٢٥

سورة النحل. ٠ وَالَّذِينَ يَرِىٰ نَفْسَهُ خَيْرًا مِّنْ أَحَدٍ كَمَا قَالَ صَاحِبُ

الرَّأْيَةِ:

وَلَا تَرَيْنَ فِي الْأَرْضِ دُونَكَ مُؤْمِنًا

وَلَا كَافِرًا حَتَّىٰ تَوَسَّدَ فِي الْقَبْرِ^٨

فَإِنَّ خِتَامَ الْأَمْرِ عِنْدَكَ مُغِيبٌ

وَمَنْ لَيْسَ ذَا خُسْرٍ يَخَافُ مِنَ الْمَكْرِ

وَأَنْ يَصْنَعَ الْمَعْرُوفَ امْتِثَالًا لِّقَوْلِهِ ﷺ "اصْنَعُوا الْمَعْرُوفَ مَعَ

مَنْ هُوَ أَهْلُهُ وَمَنْ لَيْسَ أَهْلُهُ فَإِنَّ صَادِقَتَهُمْ أَهْلُهُ صَادِقَتُهُمْ أَهْلُهُ

^٨ وذلك لأن الخاتمة لا يعلمها إلا الله والحديث فيما رواه مسلم إن الرجل يعمل الزمن الطويل بعمل

أهل الجنة، ثم يختم له عمله بعمل أهل النار، وأن الرجل يعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار، ثم يختم

له عمله بعمل أهل الجنة.

وَأَنْ لَّمْ تَصَادِفُوا أَهْلَهُ كُنْتُمْ أَنْتُمْ أَهْلُهُ" .. وَأَنْ يَكُونَ عَوْنًا لَهُمْ
جُهِدَ اسْتِطَاعَتَهُ فَاللَّهُ تَعَالَى فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ
أَخِيهِ وَأَنْ يَكْفِ أَذَاهُ عَنْهُمْ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَأَنْ يَجْزِيَ
بِالسَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى . وَالْآدَابُ كَثِيرَةٌ لَا تَكَادُ
تُحْصَى وَبِامْتِثَالِ الْمُرِيدِ لِمَا ذَكَرَ مِنْهَا يَفْتَحُ عَلَيْهِ بَيَاقِيهَا .

ثمرۃ الطريق

إِذَا كَانَتْ الْحِكْمَةُ مِنْ خَلْقِ الْعِبَادِ هِيَ أَنْ يَعْرِفُوا رَبَّهُمْ ﷻ ،
كَانَتْ نَتَاجُ السَّيْرِ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِالْوُصُولِ إِلَى
هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ، وَلَمَّا كَانَتْ ذَاتَهُ ﷻ لَا بَدَايَةَ لَهَا وَلَا نِهَايَةَ فَإِنَّهُ
بِالضَّرُورَةِ لَا يَكُونُ لِهَذَا السَّيْرِ نِهَايَةٌ وَلَا لِكَمَالِ الْمَعْرِفَةِ وَسِيلَةٌ
بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ... مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَسَمَ أَهْلُ فَنِّ السُّلُوكِ
نَتَاجِ السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ ﷻ إِلَى مَرَاكِحِلَ:

﴿ أَوَّلُ الْمَرَاكِحِلِ ﴾ هُوَ حُصُولُ الْعِلْمِ الْيَقِينِيِّ بِاللَّهِ ﷻ الْمُبْنِي
عَلَى الْأَدَلَةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ.

﴿ ثَانِي مَرَحَلَةٍ ﴾ عَيْنُ الْيَقِينِ: وَهِيَ أَنْ يَشْهَدَ الْعَبْدُ رَبَّهُ قَبْلَ
كُلِّ شَيْءٍ وَمَعَ كُلِّ شَيْءٍ وَبَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ ﴿ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ

كُلِّ شَيْءٍ ١٦ ﴿سورة الرعد﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ١٦ ﴿

سورة الصافات.

﴿ثالثَ مَرَحَلَةٍ﴾ حَقُّ الْيَقِينِ بِالْفَنَاءِ فِي الْحَقِّ وَالْبَقَاءِ بِهِ
عِلْمًا وَشُهُودًا وَحَالًا^٩. وَلَا نِهَايَةَ لِكَمَالِ الْوَلَايَةِ فَهُنَاكَ عِلْمُ الْيَقِينِ
وَعِلْمُ عَيْنِ الْيَقِينِ وَعِلْمُ حَقِّ الْيَقِينِ، وَكُلُّ مَقَامٍ مِنْهَا يَنْكَشِفُ
بِهِ مَا بَعْدَهُ بِمَدَدٍ مِنَ اللَّهِ ﷻ... وَقَدْ تَكْفَّلَ ﷻ لِأَهْلِ هَذِهِ
الطَّرِيقِ بِالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ فِي الْعَاجِلَةِ وَبِالْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ فِي الْآجِلَةِ
بِوَعْدِهِ الْكَرِيمِ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَأَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ

^٩ وهذا الفناء في الحق والبقاء به مستفاد من قول الحق ﷻ في الحديث القدسي (فإذا أحببته كنت

سمعه .. الحديث) من غير ممارسة ولا حلول ولا اتحاد بين الباقي والفاني وتعالى الله عن ذلك علواً

كبيراً.

فَلَنَحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ سورة النحل.

وَلِبَعْضِ مَظَاهِرِ هَذِهِ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ أَشَارَ الْفَقِيرُ إِلَى مَوْلَاهُ

مَرْوَانَ أَحْمَدَ مَرْوَانَ خَادِمَ الْفُقَرَاءِ - أَخَذًا مِنْ أَقْوَالِ شَيْوَخِ

هَذِهِ الطَّرِيقَةِ وَمِنْ الْوَاقِعِ الْمَشَاهِدِ لَدَى سَالِكِيهَا:

طَرِيقَ بِهَا جَبْرِيلُ جَاءَ مُوثِقًا

بِوَحْيِ بِلَا رَيْبٍ شَرِيعَةِ رَبِّنَا

سَبِيلُ إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ

عَلَى مَنَهِجِ الْقُرْآنِ نَسْلُكَ دَرَبِنَا

بِهَا اللَّهُ يُعْطِي السَّالِكِينَ تَقَرُّبًا

وَيَجْلُو بِفَضْلٍ مِنْهُ رَيْنَ قُلُوبِنَا

لَحْضَرَةٌ إِطْلَاقٍ فِي رَيْبِهَا
وَيَفْنِي عَنِ الْأَغْيَارِ شَهْدُ رَبِّهَا
يَكْفُ عَنْ الْأَوْزَارِ سَالِكُ نَهْجِهَا
فَرُبِّي وَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ يُحِيرُنَا
تَرَاهُ لَدَى الْهَيْجَاءِ يَقْبَلُ فَارِسًا
وَدِيدَنهُ التَّقْوَى عَنِ الْخَلْقِ فِي غِنَى
وَلَوْ كَانَ مِنْهُمْ فِي السَّفِينَةِ رَاكِبٌ
فَلَا خَوْفَ يَعْزُو الرَّاكِبِينَ وَلَا عَنَا
وَسَطَوَةُ أَهْلِ الْبَغْيِ إِنْسَاءُ وَجَنَّةٌ
يَقِيهِمْ إِلَهُ الْعَرْشِ مِنْهَا مُؤْمِنًا
يَمُوتُ عَلَى الْإِيمَانِ مَنْ صَانَ عَهْدَهُمْ

وَيَحْظِي بِفِرْدَوْسٍ نَعِيمًا وَمَسْكًا

فِيَا مَنْ تَرُومُ الْحَقَّ تَرْجُو سَلَامَةً

تَعَالِ إِلَى حَيِّ الْأَحْيَةِ حِينَا

فَفِيهِ تَرَى الْأَسْعَادَ قَلْبًا وَقَالِبًا

وَتَقْضِي لَكَ الْأَوْتَارَ تَوًّا مَعَ الْمُنَى

تَكُونُ جَلِيسَ اللَّهِ جَمْعًا وَخَالِيًا

بِذِكْرٍ وَأَفْكَارٍ وَطَاعَةِ رَبِّنَا

هَذَا وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ

خَادِمُ الْفُقَرَاءِ

وَسَلَّمَ.

مَرْوَانَ أَحْمَدَ مَرْوَانَ

